

عندما فتحت زهاء عينيها في غرفة الإنعاش بالمستشفى وقع نظرها على وجه اختها الكبرى عائشة التي ابتسمت لها في حنان رغم مسحة الحزن التي كانت مرئية على وجهها وأثر القلق الذي كان باديا في عينيها. وانتهت زهاء إلى أنها لا تردد في غرفة النوم المشتركة التي تعود أن تنام فيها مع اختيها عائشة وسعدية وأخيهم الصغير يوسف .فسألت اختها في لفحة : - أين أنا ؟ ولم تنتظر الإجابة والتفتت في حركة آلية ذات اليمين وذات الشمال لتشاهد أطفالا آخرين يرقدون في أسرة بيضاء مستغرقين في النوم عميق أو هكذا بدا للوهلة الأولى لأن بعضهم في الحقيقة كان في حالة غيبوبة تامة وقد ركبت على أفواههم وأوفهم كمامات الأوكسجين وزرعت في أيديهم أنابيب السيروم التي تدللت من أكياس بلاستيكية مقلوبة على حملات معدنية عند رؤوسهم وكان بعضهم مغلف الرأس أو ملفوف اليدين بالضمادات أو الجبس في هذه اللحظة قفزت إلى ذهنها الحادثة التي تعرضت لها .السوداء التي توقفت في الجهة المقابلة من الطريق ليشتري ركابها خبز مطلوع منها لم تلك السيارة التي فاجاتها من الإتجاه المعاكس وهي تقطع الطريق وفي طرفه عين شاهدت تلك السيارة وهي مقبلة كالسمم وقد أشعلت أضواءها ثم سمعت صوت عجلاتها وهي تفرمل بقوة وتحتك بأسفل الطريق وكأنها تتمزق تمزقا فظيعا ثم لا شيء بعد ذلك إلى هذه اللحظة التي فتحت فيها عينها بالمستشفى . قالت لها اختها التي كانت تجلس إلى جانب سيرها : أحلمي الله يا عزيزتي إنك لم تموتي ولم أحد أعضائك في الحادثة لتبقى طول حياتك معوقة - منذ أول أمس بعد العصر . عندما عدت من المدرسة وخرجت كالعادة إلى الطريق لتبعي الخبز . ولحسن حظك إنك نقلت بسرعة إلى المستشفى وإن كنت قدمنت نفرا . وأحسنت أنها مرهقة وأن رأسها يؤلمها فحركت يدها نحو جبينها ولكنها لم تتمكن من ذلك اكتشافت أن يدها مربوطة بشريط لاصق إلى السرير وأن أنبوبا للسيروم مغروز في وريديها كما أحسنت أن رجلها اليمنى ثقيلة فمالت برأسها نحو اليمين لترها مغلفة بالجبس وأحسنت أثناة ذلك بجروح في جبينها ثم راحت تتنبه شيئا فشيئا إلى آلام متفرقة في كامل جسمها . تضايقـت من ذلك ولمعت الدموع في عينيها . فراحـت اختها تهون عليها وتشرح لها : لا داعي للبكاء يا عزيزتي فلولا لطف الله لكـانت إصـابـتك أـخـطـر . لقد أصـبـت بـكـسرـ في رـجـلـكـ وبـجـروحـ وـرـضـوـضـ مـخـتـلـفـ في جـسـمـكـ أما الغـيـبـوـيـةـ التيـ كـنـتـ فـيـهـاـ فقدـ طـمـأـنـنـاـ الطـبـيـبـ وـقـالـ أـنـ ذـلـكـ يـعـودـ إـلـىـ اـرـتـاجـ فيـ المـخـ نـتـجـ عنـ صـدـمـةـ لـكـهـ غـيـرـ خـطـيرـ وـبـعـدـ لـحـظـةـ وـكـانـهاـ تـذـكـرـتـ شـيـئـاـ قـالـتـ لـأـخـتهاـ : سـيـسـجـلـونـ غـيـابـيـ فيـ المـدـرـسـةـ وـطـمـأـنـتـهاـ عـائـشـةـ : لـاـ تـقـلـقـيـ فـقـدـ أـخـبـرـتـنـاـ اـدـارـةـ المـدـرـسـةـ بـالـحـادـثـ وـقـدـ تـأـلـمـ الجميعـ وـأـظـهـرـوـ مـاـ حدـثـ لـكـ وـتـنـقـلـ المـدـيرـ بـنـفـسـهـ وـبعـضـ المـعـلـمـاتـ وـالمـعـلـمـينـ إـلـىـ المـسـتـشـفـيـ لـيـلـةـ الـحـادـثـ وـصـبـاحـ الـيـوـمـ للإطمئنانـ عـلـيـكـ . كماـ جاءـ العـدـيدـ مـنـ زـمـيـلـاتـ وـزـمـلـاـتـ فـيـ المـدـرـسـةـ يـسـأـلـونـكـ عـنـكـ وـالـدـمـوـعـ تـلـمـعـ فـيـ عـيـونـهـمـ . وـتـأـثـرـتـ زـهـاءـ بـمـاـ روـتـهـ أـخـتهاـ الكـبـرـىـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـمـنـعـ دـمـوعـهـاـ مـنـ الإـنـهـارـ عـلـىـ خـدـيـهـاـ . وـتـذـكـرـتـ أـخـاهـاـ وـأـخـتهاـ الـأـخـرـىـ فـسـأـلـتـ : وـأـينـ هوـ يـوـسـفـ ؟ـ وـسـعـدـيـةـ ؟ـ يـوـسـفـ صـغـيرـ لـاـ يـسـمـحـ لـهـ بـدـخـولـ الـمـسـتـشـفـيـ أـمـاـ سـعـدـيـةـ فـهـيـ فـيـ الثـانـوـيـةـ وـقـدـ حـالـتـ ظـرـوفـ الـامـتـحـانـ دونـ حـضـورـهـ وـقـدـ طـمـأـنـتـهاـ بـأـنـكـ بـخـيرـ . لـكـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـرـىـ أـخـيـ وـأـخـتـيـ . عـنـدـمـاـ تـخـرـجـيـنـ مـنـ الـمـسـتـشـفـيـ إـنـ شـاءـ اللـهـ أـرـيدـ أـنـ أـعـوـدـ إـلـىـ بـيـتـنـاـ .ـ سـتـخـرـجـيـنـ حـيـنـ يـسـمـحـ الطـبـيـبـ بـذـلـكـ .ـ أـنـاـ أـرـيدـ أـنـ أـخـرـجـ قـبـلـ الـجـمـعـةـ .ـ وـاسـتـغـرـيـتـ عـائـشـةـ إـلـاحـاجـ زـهـاءـ عـلـىـ الـخـرـوجـ ثـمـ تـنـبـهـتـ إـلـىـ مـاـ كـانـتـ تـرـمـيـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ قـبـلـ "ـالـجـمـعـةـ"ـ فـهـيـ تـشـيرـ إـلـىـ الـزـيـارـةـ الـأـسـبـوعـيـةـ الـتـيـ تـعـدـونـ عـلـيـهـاـ مـعـ أـخـيـهـنـ وـأـبـيـهـنـ صـبـاحـ كـلـ جـمـعـةـ وـأـوـشـكـتـ دـمـوعـهـاـ أـنـ تـفـضـحـهـاـ أـمـامـ أـخـتهاـ وـلـكـنـهاـ تـظـاهـرـتـ أـخـتهاـ لـمـ تـفـهـمـ مـاـ تـرـمـيـ إـلـيـهـ وـسـارـعـتـ إـلـىـ التـأـمـينـ عـلـىـ قـوـلـهـ :ـ إـنـ شـاءـ اللـهـ سـتـخـرـجـيـنـ قـبـلـ الـجـمـعـةـ .ـ وـشـعـرـتـ زـهـاءـ بـالـإـرـتـيـاحـ وـهـيـ تـسـمـعـ قـوـلـ أـخـتهاـ وـعـدـهـ وـعـدـهـ وـعـدـهـ وـسـادـ الصـمـتـ بـيـنـهـاـ منـ جـدـيدـ وـأـشـفـلـتـ كـلـتـاهـاـ بـالـنـظـرـ مـرـةـ أـخـرىـ إـلـىـ مـاـ حـولـهـاـ مـنـ الـأـطـفـالـ ضـحـايـاـ حـوـادـثـ الـطـرـقـ وـكـانـ بـعـضـهـمـ فـيـ غـيـبـوـيـةـ وـبـعـضـهـمـ يـئـنـ مـنـ الـأـلـمـ وـبـعـضـهـمـ لـاـ يـسـتـطـعـ حـتـىـ مـجـرـدـ الـأـلـيـنـ وـكـانـ قـلـقـ أـهـالـيـهـمـ وـحـزـنـهـمـ عـلـىـ حـالـهـمـ مـرـسـوـمـاـ حـسـبـ حـالـةـ الـإـصـابـةـ .ـ فـيـ وـجـوهـ أـبـائـهـمـ وـمـعـرـاـعـهـ بـدـمـوعـ الـأـمـهـاـتـ الـتـيـ تـرـاهـاـ تـنـزـلـ فـيـ صـمـتـ عـلـىـ فـلـذـاتـ أـكـبـادـهـنـ وـبـسـخـاـ لـاـ يـمـاثـلـ إـلـاـ حـانـهـنـ